

وضع مكانه الفكاهة *humour* والشخصيات التي يقدمها وتبدو في الظاهر أنها هزلية ليست في الواقع كذلك ؛ وحتى شخصية باباجينو المشهورة . ليست شخصية هزلية ، بل فكهة غسب . والأمر كذلك بالنسبة إلى شخصيات زفاف فيجارو ، فياعدا سوزان .

وكانت أوبرا « الناي الساحر » لموتسارت بمثابة نشيد البلشون لهذا النوع من الأوبرات ، ففيها الفكاهة على أشدها ، ولكن ما هو سام قد ازداد مع ذلك تألقاً . غير أن التوتر الدرامي لم يعد بالقوة التي نراها في أوبرات موتسارت السابقة .

وبعد أن فرغ كوهن من تحليل الموسيقى المرتبطة بالغناء في الأوراتوريو والأوبرا والأغاني *Lieder* ، انصرف إلى دراسة موسيقى الآلات . والموسيقى قد صارت بفضل موسيقى الآلات فناً مستقلاً عن الغناء . وقد تم ذلك بفضل بيتهوفن ، فهو الذي أبدع الموسيقى المطلقة ، أي الموسيقى المتحررة من الغناء . ويميز فيه أمران خصوصاً : الأول صوت الطبيعة ، ولا نقصد بذلك ما يقصده في رسم الطبيعة في ميدان الرسم . ذلك أن العاصفة مثلاً في السميفونية الريفية ليست مجرد محاكاة للطبيعة ، بل قيمتها هي في أنها تعبير عن انهيار العالم . وبيتهوفن حينما يعبر عن مظاهر الطبيعة وأحداثها لا يعبر عنها كأحداث وظواهر ، بل كتعبيرات عن الطبيعة الكلية في مجموعها . . والأمر الثاني الذي يتميز به فن بيتهوفن الموسيقي هو عودته إلى الأغاني الشعبية *Volkslieder* فنثلاً في السوناتا للبيانو في مقام أوت الكبير المؤلف رقم ٥٢ ، وخصوصاً في *Appassionata* ، عمل رقم ٥٧ ، نجد أن موضوع الجملة الموسيقية الأولى مأخوذ من الأغاني الشعبية . وهذا الاستقاء من معين الأغاني الشعبية ظل ملازماً لبيتهوفن حتى آخر حياته .